مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

جَمَالُ الْمَبْنَى وَبَلَاغَةُ الْمَعْنَى فِي الشِّعْرِ المَنسُوبِ لِلإمامِ عَلِيِّ بْنِ مُوْسَى الرِّضَا ﷺ مَنَابِعُهُ وَعَرْضُهُ وتَحْلِيْلُهُ

عبَّاس علي حسن فتوني [1]

١ الجامعة اللُّبنانيَّة / كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة، لبنان؛
ftoni_lebanon@hotmail.com
دكتوراه في اللغة العربية / أستاذ

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٣/٧/١	٢٠٢٣/٨/١٠	٢٠٢٣/٩/٣٠

المجلَّـد (١٥) العـــدد (٢٧)
ربيع الأوَّل ١٤٤٥هـ-أيلول٢٠٢٣م

DOI: 10.55568/t.v15i27.90-117

مُلَخَّصُ البحْث:

إنَّ الإمامَ الرِّضا ﷺ إمامٌ معصومٌ مفترضُ الطَّاعة، أوقفَ حياتَه للدَّعوة إلى اللهِ تعالى، لِذا حاولَ بشتَّى السُّبل والوسائل، لنشر مفاهيم الدِّين الحنيف، ألا وهو الإسلام، فهو ﷺ لم يكتفِ بالخُطب والأحاديث والمناظرات، بل استعمل الشِّعر وسيلة ناجعة للتَّأثير في النَّاس، فلم يكن الشِّعرُ ترفًا وفنًّا لا طائل تحته، إنَّما نظَّمه ليكون رسالة، وطريق هداية.

ومن المواضيع الَّتي أثارها في الشِّعر المنسوب إليه ﷺ:

الصَّبْر: فدعا إلى التَّسلُّح بالصَّبر، في كلِّ ميادين الحياة، فإنَّ اللهَ مع الصَّابرين.

وقَبول العُذْرِ: فالإنسان المؤمن، يقبل عذر أخيه، فهو رحب الصَّدر، هدفُه رضا اللهِ تعالى، ولا يَغضب لنفسِه.

والتَّوبةُ قبلَ الموت: من رحمة الله تعالى أنَّه فتح باب التَّوبة، لأنَّ الإنسان غير معصوم، فقد يخطئ ويعصي، لكن لا بدَّ من ترك تسويف التَّوبة، فقد يدركه الموت قبل إدراك التَّوبة.

والشَّيب: فالمَشيبُ موعظةُ اللَّبيب، وهو نذير الموت؛ فالعاقل إذا حلَّ به الشَّيب، عليه أن يستعدَّ لذلك اليوم الموعود، الحقِّ المشهود، بالتَّقوى والعمل الصَّالح.

والغرور: إنَّ المؤمن لا يغترّ بالنِّعم الَّتي يُغدقها اللهُ عليه، بل يحمد الله تعالى ويشكره عليه، لتسلم وتدوم.

والعفو والحِلم: وهُما من الأخلاق الفاضلة الَّتي ينبغي أن يتمتَّع بهما المؤمن، فيقابل الإساءة بالإحسان، ولا سيَّما عند المقدرة، فيسود، ويملك القلوب.

والأَمَل: على المؤمن أن يعمل لآخرته كما يعمل لدنياه، فلا يؤمِّل الخلودُ في الدُّنيا، فهي تمرُّ مرَّ السَّحاب،

Beauty of Structure and Eloquence of Content in Poetry Attributed to Imam Ali Bin Musa Al-Ridha (Origins , Delineation and Explication)

Abbas Ali Hassan Fattouni [1]

Lebanese University / Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic, Lebanon ;

ftoni_lebanon@hotmail.com

PhD. In Arabic Language/ professer

Received:	Accepted:	Published:
1/7/2023	10/8/2023	30/9/2023

DOI: 10.55568/t.v15i27.90-117

Volume (**15**) Rabi'a Alawwal 1445 AH

Issue (**27**) September 2023 AD

CC BY NC

Abstract:

Imam al-Ridha (peace be upon him) was an infallible imam who assumed obedience. He devoted his life to calling people to Allah. So he tried in various ways and means to spread the concepts of the true religion, Islam and did not employ only sermons, hadiths, and debates, but rather used poetry as an effective means to influence. Poetry was not a luxury or a useless art, rather, he organized it to be a message and a path of guidance. Among the topics he stirred in his poetry , attributed to him : patience man has to have in all fields of life, for Allah is with those who are patient, accepting an excuse: A believing person is to accept his brother's excuse to please Allah , repentance before death is from the mercy of Allah Almighty that He opens the door to repentance, because man is not infallible, and he may make mistakes and disobey, but it is necessary to avoid procrastinating repentance, as death may overtake him before the realization of repentance .Gray hair is a warning to the intelligent person, and it is a harbinger of death. If a wise man becomes gray, he must prepare for that promised day, the truth and the witnessed one, with piety and good deeds. Vanity a believer should avoid and praise Allah and thank Him for everything He bestows upon us and there are many as follows:

Forgiveness and forbearance, hope, to blame time and to name just a few.

Keywords: Imam Al-Ridha, stylistics, poetry, repentance, patience, death.

وإِنَّ الأجل له بالمرصاد.

وفي الَّذينَ يَعيبونَ الزَّمانَ: الزَّمانُ لا يُعاب، إِنَّما أهلُ الزَّمان هم الَّذين ينبغي أن نعيب أقوالهم الباطلة، وأفعالهم الشائنة، وانحرافاتهم، وظلمهم.

وهكذا جاء الشِّعرُ المنسوبُ إلى الإمامِ الرِّضا ﷺ شِعرًا ملتزمًا، يستحقُّ التَّقدير والاحترام، وحفظه، وترجمته عملًا وسلوكًا.

الكَلِمات المِفتاحيَّة: الإِمامُ الرِّضا ﷺ، الأُسلوبيَّة، الشِّعر، التَّوبة، الصَّبر، الموت.

تمهيد

لَوْ تَصَفَّحْنا الشِّعْرَ المَنْسوبَ إلى أَئِمَّةِ أَهْلِ البَيْتِ ﷺ لَوَجَدْناهُ دَعْوَةً إلى الفَضيلَةِ والأَخْلاقِ والمَكارِمِ، وتَذْكيرًا بِالمَوْتِ والآخِرَةِ والجَنَّةِ والنَّارِ، بَيْنَما الشِّعْرُ المَنْسوبُ إلى غَيْرِهِمْ، مِنْ مُلوكٍ وأُمَراءَ، يَفيضُ بِالمُجونِ والخَلاعَةِ واللَّهْوِ؛ وهَذا مِنَ الفَوارِقِ الَّتي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ.

وفي هَذا البَحْثِ أَعْرِضُ بَعْضَ ما وَرَدَ مِنَ الشِّعْرِ عَنِ الإمامِ الثَّامنِ مِنْ أَئِمَّةِ الهُدى، عليِّ بْنِ مُوسى الرِّضا ﷺ، وهو عليٌّ الثَّالِثُ مِنَ العَلِيِّينَ الأَربَعةِ، وهُمْ: أَميرُ المُؤْمِنينَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ ﷺ، وعَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ العابِدينَ ﷺ، وعَلِيُّ بْنُ موسى الرِّضا ﷺ، وحَفيدُهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الهادي ﷺ.

قَبول العذر

١ – قال الإمامُ الرِّضا ﷺ في الصَّبْرِ وقَبولِ العُذْرِ:

أَعْذِرْ أَخاكَ عَلى ذُنوبِهْ ... وَاصْبِرْ، وَغَطِّ عَلى عُيوبِهْ
وَاصْبِرْ عَلى سَفَهِ السَّفيـ ... ـهِ، وَلِلزَّمانِ عَلى خُطوبِهْ
وَدَعِ الجَوابَ تَفَضُّلًا ... وَكِلِ الظَّلومَ إلى حَسيبِهْ[1]

نُظِمَتْ هَذِهِ الأَبْياتُ على بَحْرِ مَجْزوءِ الكامِلِ.

بَحْرُ الكامِلِ هُوَ مِنْ أَكْثَرِ بُحورِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ اسْتِعْمالًا، قَديمًا وَحَديثًا، وَقَدْ سُمِّيَ بِالكامِلِ؛ لِأَنَّ فيهِ ثَلاثينَ حَرَكَةً لَمْ تَجْتَمِعْ في غَيْرِهِ مِنَ الشِّعْرِ، فَهُوَ كامِلٌ، لِكَمالِ حَرَكاتِهِ؛ وهُوَ سَهْلُ الاستِعمالِ، ويَتَمَيَّزُ بِإيقاعِهِ الواضِحِ؛ لِذَلِكَ يَصْلُحُ لِقَصائِدِ الحَماسَةِ، ولِلقصائِدِ الغِنائِيَّةِ أَيْضًا، فهُو ذو إيقاعٍ مُوسيقيٍّ خَلَّابٍ. ويُستَعْمَلُ تامًّا ومَجْزوءًا.

وقدِ استَعمَلَ الإمامُ الرِّضا ﷺ في هَذِهِ الأَبياتِ الثَّلاثَةِ مَجْزوءَ الكامِلِ، بِحَذْفِ تَفْعيلَةٍ مِنْ كُلِّ شَطْرٍ مِنَ البَيْتِ، أَيْ حَذْف تَفعيلَةِ العَروضِ وتَفعيلَةِ الضَّرْبِ مِنَ التَّامِّ؛ كَما اسْتَعْمَلَ الجَوازاتِ في الصَّدْرِ، والعَجُزِ، والحَشْوِ، والعَروضِ، والضَّرْبِ.

---

١ الجويني، إبراهيم بن محمَّد حموي. فرائدُ السِّمْطَيْنِ في فضائل المرتضى والبتول والسِّبطين، ط١ (مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ)، ٢٢٥؛ دخيِّل، علي محمَّد علي. أَئمَّتُنا، سيرة الأَئمَّة الاثني عشر ﷺ، ط١ (لبنان: دار المرتضى، ٢٠٠٥ م) ١٣٤؛ الشيخ العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢ (لبنان: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م)، ١١١.

لقدِ اسْتَعْمَلَ الإمامُ الرِّضا عليه السلام الشِّعْرَ رِسالَةً، ووَسيلَةً منْ وَسائِلِ التَّبليغِ، والدَّعوةِ إلى الله تَعالى؛ ولا يَخْفى أَنَّ لِلشِّعْرِ أَثَرًا كَبيرًا في النُّفُوسِ، يَفْعَلُ فِيها فِعْلَ السِّحْرِ والكِيْمْياءِ؛ وما يَتْرُكُهُ الشِّعْرُ في النُّفُوسِ، يَصْعُبُ في كَثِيرٍ مِنَ الأَحايينِ، أَنْ يَتْرُكَهُ النَّثْرُ.

فالإمامُ الرِّضا عليه السلام يَدعو في البيتِ الأَوَّلِ إلى قَبول عُذرِ مَنِ اعتَذَرَ إِلَيكَ مِنْ إخوانِكَ المؤمنينَ، على ذَنْبٍ ارتَكَبَه، فهو غيرُ مَعصومٍ، والزَّلَلُ منه متوقَّعٌ دائِمًا؛ ثُمَّ يَدعونا إلى أَنْ نَتغافَلَ عنْ عيوبِه، ما استَطعنا إلى ذلكَ سَبيلًا، لِئَلَّا تَنفَصِمَ بينَنا عُرى الأُخُوَّةِ؛ وهَذا ما دَعا إليهِ جَدُّهُ النَّبيُّ الأَعظَمُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وأَجدادُهُ وآباؤُهُ الأَطهارُ المَيامينُ عليهم السلام؛ ومِمَّا وَرَدَ عَنهمْ في قَبولِ العُذْرِ:

عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: "مَنْ لَمْ يَقْبَلِ العُذْرَ مِنْ مُتَنَصِّلٍ، صادِقًا كانَ أَوْ كاذِبًا، لَمْ يَنَلْ شَفاعَتي".[٢]

عَنِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام: "اِقْبَلْ أَعْذارَ النَّاسِ تَسْتَمْتِعْ بِإِخائِهِمْ، والْقَهُمْ بِالبِشْرِ تُمِتْ أَضْغانَهُمْ".[٣]

عَنِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام: "لا تُعاجِلِ الذَّنْبَ بِالعُقوبَةِ، واجْعَلْ بَيْنَهُما لِلاعتِذارِ طَريقًا".[٤]

عَنِ الإمامِ زَيْنِ العابِدينَ عليه السلام: "لا يَعْتَذِرُ إِليكَ أَحَدٌ إِلَّا قَبِلْتَ عُذْرَهُ، وإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ كاذِبٌ".[٥]

وعنهُ عليه السلام: "إِذا شَتَمَكَ رَجُلٌ عَنْ يَمينِكَ، ثَمَّ تَحَوَّلَ إِلى يَسارِكَ، فاعتَذَرَ إِليكَ، فاقْبَلْ عُذْرَهُ".[٦]

وعنهُ عليه السلام في الدُّعاءِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعتَذِرُ إِليكَ مِنْ مَظلومٍ ظُلِمَ بِحَضْرَتي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، ومِنْ مَعْروفٍ أُسْدِيَ إِلَيَّ ولَمْ أَشْكُرْهُ، ومِنْ مُسيءٍ اعتَذَرَ إِلَيَّ فَلَمْ أَعْذِرْهُ".[٧]

ثُمَّ يَدعو الإمامُ الرِّضا عليه السلام إلى الصَّبْرِ على سَفَهِ السَّفيهِ وظُلمِه، وإلى عَدَمِ الرَّدِّ عليهِ، فإِنَّ عَدَمَ الرَّدِّ أَحيانًا يكونُ أَبْلَغَ مِنَ الرَّدِّ.

كَما يَدعونا عليه السلام إلى الصَّبرِ على خُطوبِ الزَّمانِ؛ فالصَّبْرُ سِلاحُ المؤمِنِ وصِفتُه، وفي الصَّبرِ مَثوبَةٌ وأَجْرٌ، كَما يَدعونا عليه السلام أَنْ نَكِلَ الظَّالِمَ إلى الله تعالَى الَّذي يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ، وسَوفَ يُحاسِبُهُ على أَعمالِهِ في يَومٍ لا يُغادِرُ فيهِ صَغيرةً ولا كبيرةً إِلَّا أَحصاها؛ وهَذا ما دَعا إليهِ القُرآنُ الكَريمُ وأَهلُ البَيتِ عليهم السلام في غَيرِ آيةٍ وحَديثٍ، أَذكُرُ بَعضَها:

---

٢ محمَّد هويدى، التَّفسير المُعين للواعظينَ والمُتَّعظين، ط٥ (بيروت – لبنان: المؤسَّسة العالَميَّة لعلوم القرآن، ١٩٩٥م)، ١٩٧.
٣ هويدى، ١٩٧.
٤ هويدى، التَّفسير المُعين للواعظينَ والمُتَّعظين ١٩٧.
٥ هويدى، ١٩٧.
٦ هويدى، ١٩٧.
٧ هويدى، ١٩٧.

قالَ اللهُ تَعالى: "فاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، ولاتَسْتَعجِلْ لَهُمْ". الأحقاف٣٥

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: "ما الإيمانُ؟ قالَ: الصَّبْر"[٨].

وعنهُ ﷺ: "لا يُعْدَمُ الصَّبورُ الظَّفَرَ، وإنْ طالَ بِهِ الزَّمانُ".[٩]

عَنِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام: "الصَّبرُ أَحسَنُ حُلَلِ الإيمانِ، وأَشْرَفُ خَلائِقِ الإنسانِ"[١٠].

وعنهُ عليه السلام: "قِلَّةُ الصَّبرِ فَضيحَةٌ"[١١].

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "ما ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً إلَّا زادَهُ اللهُ عِزًّا"[١٢].

عَنِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام: "مَنْ ظَلَمَ عِبادَ الله كانَ اللهُ خَصْمَهُ دونَ عِبادِهِ"[١٣].

وعنهُ عليه السلام: "ظُلامَةُ المَظْلومينَ يُمْهِلُها اللهُ ولا يُهْمِلُها"[١٤].

إنَّ هَـذِهِ الأَبيـاتِ هـيَ مـنَ السَّـهلِ المُمتَنِـعِ، فَقَـدِ امتـازَتْ بالوضـوحِ والسُّـهولَةِ، بَعيـدًا مِـنَ الغُمـوضِ، وكلُّ ذَلِـكَ مِـنْ أَجْـلِ إيصـالِ الدَّعـوةِ إلى كُلِّ النَّـاسِ، مِـنْ دونِ لَبْـسٍ.

التَّوبةُ قبلَ الموت

٢- كَتَبَ المَأْمونُ إلى الإمامِ الرِّضا عليه السلام قائِلًا لَهُ: عِظْني، فكَتَبَ إليهِ:

إنَّـكَ في دُنْيـا لَهـا مُـدَّةٌ ... يُقْبَـلُ فيهـا عَمَـلُ العامِـلِ
أَما تَرى المَوْتَ مُحيطًا بِها ... يَسْـلُبُ مِنْهـا أَمَـلَ الآمِـلِ؟
تَعَجَّـلُ الذَّنْـبَ بِـما تَشْـتَهي ... وَتَأْمُـلُ التَّوْبَـةَ مِـنْ قابِـلِ؟
وَالمَـوْتُ يَـأْتي أَهْلَـهُ بَغْتَـةً ... مـا ذاكَ فِعْـلُ الحـازِمِ العاقِـلِ[١٥]

نُظِمَـتْ هَـذِهِ الأَبْيـاتُ عـلى بَحْـرِ السَّريـع، وسـمِّي بالسريـع؛ لأنَّـه يسرعُ على اللسـان، ولسرعـة النطـق به. وتجدر الإشـارة إلى أنَّ هـذا البحـر قـد قـلَّ استعماله في الشِّـعر الجاهـليِّ والعصـور التَّاليـة

٨ هويدى، ٥٠٦.
٩ هويدى، ٥٠٦.
١٠ هويدى، ٥٠٦.
١١ هويدى، ٥٠٦.
١٢ هويدى، ٥٠٦.
١٣ هويدى، ٦٢.
١٤ هويدى، ٦٢.
١٥ المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ١١٢.

لـه، ولكـن نظـم عليـه بعـض شـعراء العـصر العبَّاسيِّ، خاصَّـة في موضـوع الرثـاء، والموضوعـات الَّتي لها صلة بالعاطفة عمومًا، وهـو بحـر يتدفَّـق عذوبـةً وسلاسـة.

يقـولُ الإمـامُ الرِّضـا ﷺ في عِظَتِـهِ للمأمـونِ، تلبيـةً لطلبِـه، وهـذه العظـةُ تصلـحُ أنْ تكـونَ موجَّهـةً للنَّـاسِ جميعًـا: "إِنَّـكَ في دُنْيـا لَهـا مُـدَّةٌ"، فهـو يشـيرُ إلى فنـاءِ الدُّنيـا، مهـما طالـت، وهـذا حُكْـمُ اللهِ تَعـالى، ولا تبديـل لحُكمِـه؛ ويهـدفُ الإمـامُ ﷺ مـن قولِـهِ للمأمـون، أَنْ يَجعلَـه يَغتنـمَ فُرصَـةَ وجـودِهِ عـلى قيـدِ الحيـاةِ، فيعمـل صالحًـا؛ لأنَّ اليـومَ عَمَـلٌ ولا حِسـاب، وغَـدًا حِسـابٌ ولا عَمـل؛ فمهـما أَخَـذَ مِـن لَـذَّاتٍ وشـهواتٍ محرَّمـةٍ، فإنَّهـا لـن تـدومَ سِـوى لحظـاتٍ، فليُفكِّـرْ في الحيـاةِ الأَبَديَّـةِ، وفي اليـومِ الَّـذي سـيقفُ فيـهِ بـينَ يَـدَيِ اللهِ، ليُقـالَ لَـهُ ولغـيرِه:

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء ١٤).

الحياةُ فانيةٌ، والدُّنيا قصيرة، فاعمَلْ ما يُرضي اللهَ تكنْ سَعيدًا في الدُّنيا، وسعيدًا في الآخرة.

وفي هـذه الحيـاةِ الدُّنيـا "يُقْبَـلُ فيهـا عَمَـلُ العامِـلِ"، فهو مـا دام حيًّا يسـتطيعُ أن يَعمل، ويكسـب الحسـنات مـن خـلال الطَّاعـات، ولكـنْ إذا جـاء أجلُـه، وفـارق الحيـاةَ؛ فـإنَّ عملَـه سـينقطع، وتاليًـا لـن يسـتطيع أن يُقـدِّم لآخرتِه شـيئًا.

ثُمَّ يقول: "أَما تَرى المَوْتَ مُحيطًا بِها، يَسْلُبُ مِنْها أَمَلَ الآمِلِ؟".

المَـوتَ نِهايَـةُ كُلِّ حَـيّ، وَضريبَـةٌ حَتميَّـةٌ لا يَسْـتَطِيعُ أَيُّ امْـرِئٍ أَنْ يَتَهَـرَّبَ مِـنْ دَفْعِهـا؛ وهـذا مـا أكَّـدَه الإمـامُ الرِّضـا ﷺ، كـما أَكَّـدَه القُـرآنُ الكريـمُ في غَـيْرِ آيـة، فقـال:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[الرحمن ٢٦-٢٧] .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص ٨٨].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت ٥٧].

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية ٢٥-٢٦].

﴿ قُـلْ إِنَّ الْمَـوْتَ الَّـذِي تَفِـرُّونَ مِنْـهُ فَإِنَّـهُ مُلَاقِيكُـمْ ثُـمَّ تُـرَدُّونَ إِلَى عَـالِمِ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُـم بِـمَا كُنتُـمْ تَعْمَلُـونَ ﴾ [الجمعـة ٨]

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ.. ﴾ [النساء ٧٨].

ومِنْ نافِلَةِ القَوْلِ أَنْ نُشِيرَ إِلى أَنَّ اللهَ تَعالى، لَوْ أَرادَ أَنْ يُخَلِّدَ أَحَدًا على وَجْهِ البَسِيطة، لأَبْقى أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيْه، مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الله ﷺ، وَلَكِنْ خاطَبَهُ قائِلًا: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر ٣٠]

وفي هَذا الصَّدَد، تُنْسَبُ إِلى الإِمامِ عليٍّ عليه السلام هذِهِ الأَبياتُ الشِّعرِيَّة، الَّتِي رَثى بِها رَسولَ الله ﷺ:

المَـوْتُ لا والِـدًا يُبْقِـي وَلا وَلَـدا هَـذا السَّـبِيلُ، إِلى أَنْ لا تَـرَى أَحَـدا
هَـذا النَّبِـيُّ وَلَمْ يَخْلُـدْ لأُمَّتِـهِ لَـوْ خَلَّـدَ اللهُ خَلْقًـا قَبْلَـهُ، خَلُـدا
لِلْمَـوْتِ فِينـا سِـهامٌ غَـيْرُ طائِشَـةٍ مَـنْ فاتَـهُ اليَـوْمَ سَـهْمٌ لَمْ يَفُتْـهُ غَـدا[١٦]

إِنَّ المَوتَ لَيسَ نِهايةَ المَطافِ، بلْ بَعثٌ وقيامةٌ وحساب، كما يقولُ إمامُنا زَيْنُ العابدين عليه السلام في دُعاءِ الحَزين: "مَولايَ، أَيَّ الأَهوالِ أَتَذَكَّرُ؟ وأَيَّها أَنْسى؟ ولو لَمْ يَكُنْ إِلَّا المَوتُ لَكَفى، كيفَ وما بَعدَ المَوتِ أَعظَمُ وأَدْهى"![١٧]

ومِمَّا ينسَبُ إلى الإِمامِ عليٍّ عليه السلام في هذا الصَّدَدِ قَولُه:

وَلَـوْ إِنَّـا إِذا مِتْنـا تُرِكْنـا لَـكانَ المَوْتُ راحَـةَ كُلِّ حَيِّ
وَلَكِنَّـا إِذا مِتْنـا بُعِثْنـا وَنُسْـأَلُ بَعْدَها عَنْ كُلِّ شَيٍّ[١٨]

لِذا خَليقٌ بِنا أَيُّها الإِخوة، أَنْ نَتَزوَّدَ بِالوَرَعِ والتَّقوَى، لِذلكَ اليَومِ الموعُود، الحَقِّ المَشهُود، الَّذي وصَفَهُ اللهُ سُبحانَهُ بِقَولِه:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[الشعراء ٨٨_٨٩] .

﴿ يَـوْمَ تَرَوْنَهَـا تَذْهَـلُ كُلُّ مُرْضِعَـةٍ عَـمَّا أَرْضَعَـتْ وَتَضَـعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْـلٍ حَمْلَهَـا وَتَـرَى النَّـاسَ سُـكَارَى وَمَـا هُـم بِسُـكَارَى وَلَكِـنَّ عَـذَابَ اللهَّ شَـدِيدٌ ﴾ [الحج ٢].

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ [النازعات ٣٥].

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله ﴾ [الانفطار ١٩].

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين ٦].

---

١٦ عبد العزيز الكرم، ديوان الإمام عليٍّ عليه السلام، د.ط. (بيروت: المكتبة الثقافية، د.ت) ٤٨_٤٩.
١٧ عبَّاس القُمِّي، مفاتيح الجِنانَ ويَليه الباقياتُ الصَّالحات، ط١ (بيروت – لبنان: مؤسسة الاعلمي، ٢٠٠٤م)، ٨١٤.
١٨ الكرم، ديوان الإمام علي ١٣٩ عليه السلام.

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق ٩].

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ. فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة ٤-١١].

﴿ .. يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ : يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ النبأ٤٠.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس ٣٤-٤٢].

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة ٦-٨].

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ... ﴾ [آل عمران ٣٠].

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[آل عمران ١٠٦-١٠٧].

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل ١١١].

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[مريم ٨٥-٨٦].

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النور٢٤.

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان ٢٧-٢٩].

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر ٥٢].

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[الدخان ٤١-٤٢].

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ : هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[ق ٣٠].

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم،بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا: انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ: ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ: أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحديد ١٢-١٥].

هَذا يَوْمُ البَعْث، يَوْمُ الفَصْل، يَوْمُ القِيامَة، يَوْمُ الحَشْر، يَوْمُ النَّشْر، يَوْمُ الخُرُوج، يَوْمُ الجَمْع، يَوْمُ الجَزاء، يَوْمُ التَّغابُن، يَوْمُ الدِّين، اليَوْمُ الحَقُّ.

ماذا لَوْ آمنُ الجَمِيعُ بِهَذا اليَوْمِ العَظِيم، يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَة؟ لانْحَلَّتْ مَشاكِلُنا برمَّتها.

ثُمَّ يُتابعُ الإمامُ الرِّضا ﷺ موعظتَه للمأمونِ، قائِلًا:

تَعَجَّلُ الذَّنْبَ بِما تَشْتَهي، وَتَأْمُلُ التَّوْبَةَ مِنْ قابِلٍ؟

وَالمَوْتُ يَأْتي أَهْلَهُ بَغْتَةً، ما ذاكَ فِعْلُ الحازِمِ العاقِلِ.

يقولُ: كنْ عاقِلًا، ولا تغرق بالذُّنوب، ولا تسر وراءَ شَهواتِك، ثُمَّ تطمع أنْ يغفرَ الله لك، من خلالِ التَّوبة الَّتي فتح اللهُ أبوابها للعاصين، وتُسوِّف التَّوبة، وتقولُ:

"غَدًا أتوبُ، ولا يَزالُ الوَقتُ باكِرًا؛ فعندَما تَتَقَدَّمُ بِي السِّنُّ، سَأَلْجَأُ إلى الصَّلاةِ والصَّوْمِ، وسَأَذْهَبُ إلى بَيْتِ الله الحَرامِ، لِأُطَهِّرَ نفسي مِنْ كُلِّ الذُّنوبِ الَّتي ارْتَكَبْتها في شَبابِي، لِأجِدَ اللهَ هُنالِكَ غَفُورًا رَحيمًا".

والجوابُ عَنْ هَذِهِ المَقولَةِ: "المَوْتُ يَأْتي أَهْلَهُ بَغْتَةً".

ومِمَّا يُنسبُ إلى الإمامِ عليٍّ ﷺ، قولُه:

يا مَنْ بِدُنياهُ اشْتَغَلْتَقدْ غَرَّهُ طولُ الأَمَلْ
الموتُ يَأْتي بَغتةًوالقبرُ صُندوقُ العملْ [١٩].

قيلَ: سُئِلَ الإِمامُ عَلِيٌّ ﷺ:
ما واجِبٌ وأَوْجَب؟ وما قَرِيبٌ وأَقْرَب؟
فَأَجابَ ﷺ:

فَرْضٌ عَلَى النَّـاسِ أَنْ يَتُوبُوا لَكِـنَّ تَـرْكَ الذُّنُـوبِ أَوْجَـبْ
وَكُلُّ مـا يُرْتَجَـى قَرِيـبٌ والمَـوْتُ مِـنْ كُلِّ ذاكَ أَقْـرَبْ [٢٠]

والإِمامُ عليٌّ ﷺ يُحَذِّرُ مِنْ إرجاءِ التَّوبة، فيقولُ:
"لا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ العَمَلِ، ويُرْجِئُ التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ".
ويقولُ أحدُ الشُّعراءِ:
لا تَقُلْ في غَدٍ أَتُوبُ لَعَلَّالغَدَ يَأْتي، وأَنْتَ تَحْتَ التُّرابِ.
وقال آخرُ:
ولا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحاتِ إلى غَدٍلَعَلَّ غَدًا يَأْتي، وأَنْتَ فَقِيدُ.

ولَكِـنْ لَـوْ قَـدَّرَ اللهُ تَعـالَى لِلمسـيئين البَقـاءَ لأَرْذَلِ العُمُـرِ، فـأَيُّ قيمَـةٍ لِلتَّوْبَـةِ – إِنْ حَصَلَـتْ – بَعْـدَ أَنْ تَكُـونَ طاقَـةُ الشَّـبابِ قَـدِ اسْـتُنْفِدَتْ في المَعـاصي والآثـامِ؛ وفي ذَلِـكَ يَرْسُـمُ اللهُ حُـدودَ التَّوْبَـةِ بالآيَتَـيْنِ الكَريمَتَـيْنِ الآتِيَتَـيْنِ:

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَـةُ عَـلَى اللهِ لِلَّذِيـنَ يَعْمَلُـونَ السُّـوءَ بِجَهَالَـةٍ ثُـمَّ يَتُوبُـونَ مِـن قَرِيـبٍ فَأُولَئِـكَ يَتُـوبُ اللهُ عَلَيْهِـمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيـمًا حَكِيـمًا وَلَيْسَـتِ التَّوْبَـةُ لِلَّذِيـنَ يَعْمَلُـونَ السَّـيِّئَاتِ حَتَّـى إِذَا حَـضَرَ أَحَدَهُـمُ الْمَـوْتُ قَـالَ إِنِّي تُبْـتُ الْآنَ وَلَا الَّذِيـنَ يَمُوتُـونَ وَهُـمْ كُفَّـارٌ أُولَئِـكَ أَعْتَدْنَـا لَهُـمْ عَذَابًـا أَلِيـمًا ﴾ [النسـاء ١٧–١٨].

١٩ الكرم، ١٠٥.
٢٠ الكرم، ١٥_١٦.

المَشيبُ موعظةُ اللَّبيب

٣- أَرسَلَ المَأْمونُ جارِيَةً إِلى الإِمامِ الرِّضا ﷺ، فَلَمَّا رَأَتِ الشَّيْبَ اشْمَأَزَّتْ، فَرَدَّها إِلى المَأْمونِ، وكَتَبَ إِليهِ:

نَعى نَفْسي إِلى نَفْسي المَشيبُ ... وَعِنْدَ الشَّيْبِ يَتَّعِظُ اللَّبيبُ
فَقَدْ وَلَّى الشَّبابُ إِلى مَداهُ ... فَلَسْتُ أَرى مَواضِعَهُ يَؤوبُ
سَأَبْكيهِ وَأَنْدُبُهُ طَويلًا ... وَأَدْعُوهُ إِلَيَّ عَسى يُجيبُ
وَهَيْهاتَ الَّذي قَدْ فاتَ مِنْهُ ... تُمَنِّيني بِهِ النَّفْسُ الكَذوبُ
وَراعَ الغانِياتِ بَياضُ رَأْسي ... وَمَنْ مُدَّ البَقاءُ لَهُ يَشيبُ
أَرى البيضَ الحِسانَ يَحِدْنَ عَنِّي ... وَفي هِجْرانِهِنَّ لَنا نَصيبُ
فَإِنْ يَكُنِ الشَّبابُ مَضى حَبيبًا ... فَإِنَّ الشَّيْبَ لي أَيْضًا حَبيبُ
سَأَصْحَبُهُ بِتَقْوى اللهِ حَتَّى ... يُفَرِّقُ بَيْنَنا الأَجَلُ القَريبُ[٢١]

نُظِمَتْ هَذِهِ الأَبْياتُ على بَحْرِ الوافِر.

هذا البحر من أشهر البحور الشِّعريَّة، وأَكثرها استخدامًا، وهو من بحور الشِّعر الَّتي تسمَّى البحور الصَّافية.

ويقولون: سُمِّي الوافر لكثرة حركاته، فلا توجد تفعيلة بها حركات أكثر من" مُفَاْعَلَتُنْ".

هذِه الأَبياتُ الشِّعريَّة تدورُ حولَ الشَّيب ودلالته، والاتِّعاظ به، وتوديع أَيَّام الشَّباب، ونظرة النِّساءِ إلى مَشيبِ الرِّجال، ثمَّ يختم الإمامُ ﷺ بالإفصاحِ عن محبَّتِه للشَّيبِ، لأَنَّهُ نَذيرُ الموتِ، وهذا ما يَجعلُهُ يتمسَّكُ بتقوى الله تعالى.

يقولُ الإمامُ الرِّضا ﷺ إنَّ الشَّيْبَ موعظةٌ كبرى للإنسان، وها هو قد حلَّ به، بعد أنْ وَلَّى زَمنُ الشَّبابِ إلى غير رجعة، وإِنَّه سيبكيه طويلًا، ولكن مهما بكى فهيهات أن يُعيدَ البُكاءُ شبابه؛ هذا الشَّيْبُ يُروِّعُ النِّساءَ، كما رَوَّعَ الجاريةَ الَّتي أَرسَلَها المأمونُ إِليهِ، فما أَن رأتْ بَياضَ شعرِهِ، الدَّال على الشَّيخوخةِ، حادتْ عنه، وكان نصيبُه منها الهجرانَ؛ لكنَّ الإمام ﷺ يُواسي نفسَهُ إِذْ رأى الشَّيْبَ حبيبًا وصاحبًا، لأَنَّه يُقرِّبُه من أَجلِهِ الَّذي لا بُدَّ منه، وهذا ما يدعوهُ أَنْ

٢١ الموفّق الخوارزميّ، المَناقِب، ط٢ (قم: مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ، ١٤١١ه)، ٤١٣.

يتحلَّى بزينة التَّقوى الَّتي تقرِّبُه من الله تعالى، وتكون سببًا للفوزِ برَوحِ اللهِ ورَيحانِه، وجَنَّته ورِضوانِه.، كما جاء في القرآنِ الكريم:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ ٣١-٤٦].

وهُنا أَذكرُ بَعضَ الأَحاديثِ الشَّريفَةِ الَّتي تُؤَكِّدُ مَقولَةَ الإِمام الرِّضا ﷺ بموضوع الشَّيْب:

عَنِ الإِمامِ عليٍّ ﷺ: "المَشيبُ رَسولُ الموتِ" [٢٢].

وعنه ﷺ: "إذا ابْيَضَّ أَسْوَدُكَ ماتَ أَطيَبُكَ" [٢٣].

وعنه ﷺ: "وَقارُ الشَّيْبِ نورٌ وزينةٌ" [٢٤].

وعنه ﷺ: "وَقارُ الشَّيْبِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَضارَةِ الشَّبابِ"[٢٥].

وعن الإمامِ الصَّادِقُ ﷺ: "ما رَأَيْتُ شَيْئًا أَسْرَعَ إِلى شَيءٍ مِنَ الشَّيْبِ إِلى المُؤْمِنِ، وأَنَّهُ وَقارٌ لِلمُؤْمنِ في الدُّنيا، ونورٌ ساطِعٌ يومَ القِيامَةِ، به وَقَّرَ اللهُ خَليلَهُ إِبراهيمَ، فقالَ: ما هَذا، يا رَبِّ؟ قالَ لهُ: هَذا وَقارٌ، فقالَ: يا رَبِّ زِدْني وَقارًا"[٢٦].

الغرور

٤- وكانَ الإِمامُ الرِّضا ﷺ يُنْشِدُ كَثيرًا:

إِذا كُنْتَ في خَيْرٍ فَلا تَغْتَرِرْ بِهِ وَلَكِنْ قُلِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَتَمِّمِ[٢٧]

نُظِمَ هَذا البيتُ على بَحْرِ الطَّويل.

وهو من أَكثَرِ البحورِ الشِّعريَّة استعمالًا في الشِّعر العربيِّ، وسُمّي بالطَّويل؛ لأَنَّه طالَ بتَمامِ أَجزائِه.

مُلحوظَة: لا يُسْتَعْمَلُ بَحْرُ الطَّوِيلِ إِلَّا تامًّا[٢٨].

٢٢ هويدى، التَّفسير المُعين للواعظينَ والمُتَّعظين، ٣٠٥.
٢٣ هويدى، ٣٠٥.
٢٤ هويدى، ٣٠٥.
٢٥ هويدى، ٣٠٥.
٢٦ هويدى، ٣٠٥.
٢٧ المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ١١١.
٢٨ فتوني، عبَّاس. معهد سيِّد الشُّهداء ﷺ لِلمِنبرِ الحُسينيّ، مَدخَلٌ إِلى عِلمِ العَروض، ط١ (بيروت: جمعيَّة المعارِف الإسلاميَّة الثَّقافيَّة، د.ت) ٢٠.

هَـذا البَيْتُ يَحتوي عـلى موعِظَـةٍ أَخلاقيَّـةٍ عظيمـةٍ، هـو بيـتٌ واحِـدٌ يَختصرُ صَفحـاتٍ كثيرةً من المعـاني، يُعلِّمُنـا كيـفَ نُقابِـلُ النِّعَـمَ الَّتـي أَغدَقَهـا اللهُ تعـالى علينـا.

يقولُ الإِمامُ ﷺ:

إِذا كُنْتَ في خَيْرٍ فَلا تَغْتَرِرْ بِهِ وَلَكِنْ قُلِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَتَمِّمِ

أَيُّهـا الإِنسـانُ، إِذا أَنْعَـمَ اللهُ عليـكَ بنِعمـةٍ، فـلا يأْخُـذُكَ التَّكـبُّرُ والغـرورُ، فـإِنَّ كلَّ مـا تَمتـازُ بـهِ مِـنْ قُـوَّةٍ وجَمـالٍ وغِنًـى وعَقْـلٍ وذَكاءٍ، هـوَ مِـنَ اللهِ تَعـالى الَّـذي خَصَّـكَ بِـهِ؛ والنِّعَـمُ تُقابَـلُ بِالحَمْـدِ والشُّـكْرِ، لا بِالزَّهْـوِ والكِـبْرِ، والتَّفاخـرِ عـلى النَّـاسِ، وعليـكَ أَنْ تَدعـوَ اللهَ أَنْ يُتِـمَّ عليـكَ هـذا الخـير ويُديمُـه، وأن يُسَـلِّمَكَ مـن حسَـدِ الحاسـدينَ.

قال اللهُ تعالى: "وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ" [النحل ٥٣].

" وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُـمْ لَئِـن شَـكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُـمْ وَلَئِـن كَفَرْتُـمْ إِنَّ عَـذَابِي لَشَـدِيدٌ" [إبراهيـم ٧].

وقيـلَ: "بِالشُّـكْرِ تَـدومُ النِّعَـمُ".

وكيفَ يكونُ الشُّكْرُ لله تعالى؟

أَنْ تَسْتَعْمِلَ قوَّتَك في خدمةِ النَّاسِ وإِعمارِ الكونِ.

أَنْ تَسْتَغِلَّ غِناكَ في التَّخفيفِ مِنْ آلامِ البائسينَ.

أَنْ تَسْتَعمِلَ عِلْمَكَ وعَقلَكَ وذَكاءَكَ في التَّطويرِ والتَّغييرِ، وحَلِّ مَشاكلِ الآخَرينَ.

العفو والحِلم

- وقالَ الإِمامُ الرِّضا ﷺ في الصَّفْحِ عَنِ المُسيءِ:

إِذا كانَ مَنْ دوني بُلِيتُ بِجَهْلِهِ أَبَيْتُ لِنَفْسي أَنْ أُقابِلَ بِالجَهْلِ

وَإِنْ كانَ مِثْلي في مَحَلٍّ مِنَ النُّهى أَخَذْتُ بِحِلْمي كَيْ أُجَلَّ عَنِ المِثْلِ

وَإِنْ كُنْتُ أَدْنى مِنْهُ في الفَضْلِ وَالحِجى عَرَفْتُ لَهُ حَقَّ التَّقَدُّمِ وَالفَضْلِ[٢٩]

نُظِمَ هَذا البيتُ على بَحْرِ الطَّويل، وقد تقدَّمَ ذِكرهُ، ولا حاجةَ إلى إعادتِه.

٢٩ الموفّق الخوارزميّ، المَناقِب: ٤٢١ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط٣ (بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣)، ١٠٧.

ما أَعظَمَ أَخلاقَ الإِمامِ الرِّضا ﷺ! وما أَجملَ هذِه الأَبياتِ الشِّعريَّة الهادفة الَّتي نظمَها! مشيرًا فيها إلى الصَّفحِ عَمَّنْ أَساءَ إليه، وهذه دعوةٌ للنَّاس أن يتَّخذوا الموقفَ نفسَه، فهو من مكارِمِ الأخلاقِ؛ فيقول: المسيئون ثلاثة:

إذا كان المسيء دوني، من حيث الجهلُ، فلا أسمحُ لنفسي أنْ أكونَ مثلَه.

وإذا كان المسيء مثلي، من حيث العقل، فأسعى أن أكونَ أفضل منه.

وإذا كان المسيء أرفع منِّي فضلًا وعقلًا، فلا بدَّ لي أن أعترفَ بفضلِه وتقدُّمه عليّ.

وأمام هذه الحالات الثَّلاث، أرى أنَّها تحتاج منِّي إلى الحِلم، والعفو، والصَّفح والتَّسامح.

- وقالَ الإِمامُ الرِّضا ﷺ في الصَّفْحِ عَنِ المُسيءِ أَيْضًا:

وَذي غِيلَةٍ سالْتُهُ فَقَهَرْتُهُ فَأَوْقَرْتُهُ مِنِّي بِعَفْوِ التَّحَمُّلِ

وَلَمْ أَرَ لِلْأَشْياءِ أَسْرَعَ مَهْلَكًا لِغِمْرٍ قَديمٍ مِنْ وِدادٍ مَعَجَّلِ[٣٠]

ونُظِمَ هَذان البيتانِ على بَحْرِ الطَّويل أيضًا، في الموضوعِ السَّابقِ نفسِه.

يقول الإِمامُ الرِّضا ﷺ: إنَّ صاحبَ الغيلة، أي الخديعة، إذا ما أَساءَ إِليَّ يومًا، فإِنِّي أَقهرُهُ، وأتغلَّبُ عليه بمسالمتِه، وتحمُّله، والعفو عنه؛ لأنَّني أرى أنَّ المحبَّة أقوى بكثيرٍ من الغِمْرِ، أي الحِقد، أو الجاهلِ الَّذي لم يُجرِّب الأُمورَ.

ولا بأسَ أنْ أَذكرَ بعضَ الأحاديث الشَّريفةِ الَّتي تؤكِّدُ هذا المعنى، للفائدة المتوخَّاة:

وردَ عنِ النَّبيِّ ﷺ قولُه: "إذا عنت لكم غضبةٌ فأدُّوها بالعفو، إنَّه يُنادي مُنادٍ يومَ القِيامةِ: مَن كان لهُ على الله أَجرٌ، فليَقمْ، فلا يقومُ إلَّا العافونَ، أَلَمْ تَسمعوا قولَهُ تعالى: "فَمَنْ عَفا وأَصلَحَ فأَجرُهُ على الله" [٣١].

ووردَ عنِ النَّبيِّ ﷺ قولُه: "إِنَّ اللهَ عفُوٌّ يُحِبُّ العَفوَ"[٣٢].

ووردَ عنِ النَّبيِّ ﷺ قولُه: "الحِلمُ تَمامُ العَقلِ" [٣٣].

---

٣٠ الموفّق الخوارزميّ، المَناقب ٤٢١.

٣١ هويدى، التَّفسير المُعين للواعظينَ والمُتَّعظين، ١١٠.

٣٢ هويدى، ١١٠.

٣٣ هويدى، ١١٠.

ووردَ عنِ النَّبيِّ ﷺ قولُه: "مَنْ عَفا عَن مَظلَمَةٍ أَبدَلَهُ اللهُ بِها عِزًّا في الدُّنيا والآخرةِ" [٣٤].

ووردَ عنِ الإمامِ عليٍّ ﷺ قولُه: "شَرُّ النَّاسِ مَنْ لا يَعفو عن الزَّلَّةِ ولا يَستُرُ العَورةَ"[٣٥].

ووردَ عنِ الإمامِ عليٍّ ﷺ قولُه: "مَن غاظَكَ بقُبحِ السَّفه عليك، فعظه بحسن الحِلم عنه"[٣٦].

ووردَ عنِ الإمامِ عليٍّ ﷺ قولُه: "أَحسنُ أَفعالِ المُقتَدِرِ العَفْوُ" [٣٧].

ووردَ عنِ الإمامِ عليٍّ ﷺ قولُه: "العَفْوُ تاجُ المَكارِمِ"[٣٨].

ووردَ عنِ الإمامِ الباقِرِ ﷺ قولُه: "ثَلاثٌ مِنْ مَكارِمِ الدُّنيا والآخِرةِ: تعفو عَمَّنْ ظَلَمَك، وتَصِلُ مَنْ قَطَعَك، وتَحلمُ إذا جَهلَ عليك" [٣٩].

ووردَ عنِ الإمامِ الجَوادِ ﷺ قولُه: "الحِلمُ لِباسُ العالِمِ، فلا تَعرِيَنَّ منه"[٤٠].

الأمل

- وقالَ الإمامُ الرِّضا ﷺ في الأَمَلِ:

كُلُّنا يَأْمُلُ مَدًّا في الأَجَلْ وَالمَنايا هُنَّ آفاتُ الأَمَلْ
لا تَغُرَّنْكَ أَباطيلُ المُنى وَالزَمِ القَصْدَ، وَدَعْ عَنْكَ العِلَلْ
إِنَّما الدُّنْيا كَظِلٍّ زائِلٍ حَلَّ فيهِ راكِبٌ ثُمَّ ارْتَحَلْ [٤١]

نُظِمَتْ هَذِهِ الأَبْياتُ على بَحْرِ الرَّمَلِ، وهُو منَ البحورِ الصَّافية.

سُمِّيَ بحرُ الرَّملِ بهذا الاسم، لسرعة النُّطق به، وهذِه السُّرعةُ متأتِّية بسبب تتابع التَّفعيلة "فاعِلاتُنْ" فيه.

والرَّملُ في اللُّغةِ: الهرولة، وهي فوق المشي، ودون العدو.

وقيل: سُمِّيَ بذلك لتشبيهه برَمْلِ الحَصير، لضمِّ بعضِه إلى بعضٍ.

يَتحدَّثُ الإمامُ الرِّضا ﷺ في هذِه الأَبياتِ عن الأَمل والأَجل.

٣٤ هويدى، ١١٠.
٣٥ هويدى، ١١٠.
٣٦ هويدى، ١١٠.
٣٧ هويدى، ١١٠.
٣٨ هويدى، ١١٠.
٣٩ هويدى، ٢٣٠.
٤٠ هويدى، ٢٣٠.
٤١ ابن كثير، البداية والنِّهاية، ط١ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤١٨)، ٢٥٠.

يقولُ: "كُلُّنا يَأْمُلُ مَدًّا في الأَجَلْ، وَالمَنايا هُنَّ آفاتُ الأَمَلْ".

المَعنى واضِحٌ كالشَّمس، لا غُموضَ فيه ولا لَبس. الأَملُ أُمنيَّة كلِّ امرئٍ على وجهِ البسيطة، والآمالُ لا تنتهي، ولكن لكلِّ شيءٍ آفة، وآفةُ الأمل الأجل؛ فالأجلُ يَهدِمُ الأمل، وقد يكون من حسنات الأجل أن يجعلَنا لا نَغرقُ في حبِّ الدّنيا، ويدعونا لأن نعمل لآخرتنا، لأنَّ الأماني والآمال تُعمي عيونَ البصائِر.

ومنَ الأَحاديثِ الشَّريفةِ في هَذا الصَّدد:

وردَ عن الإمامِ عليٍّ ﷺ قولُه: "اِتَّقوا خداعَ الآمال، فكمْ منْ مؤمِّلِ يومٍ لمْ يُدركْه، وباني بناءٍ لم يَسكنْه، وجامع مالٍ لمْ يَأكلْه"[٤٢].

وعنه ﷺ: "ما أَطالَ عبدٌ الأَملَ إِلَّا أَساءَ العمَل"[٤٣].

وعنه ﷺ: "أَكثرُ النَّاسِ أَملًا، أَقلُّهمْ لِلموتِ ذِكرًا "[٤٤].

وعنه ﷺ: "لوْ رأَى العبدُ أَجَلَه وسُرعتَه إِليه، لأَبغضَ الأَملَ، وطلَب الدُّنيا"[٤٥].

وعنه ﷺ: "نَفَسُ المَرْءِ خُطاهُ إِلى أَجَلِهِ"[٤٦].

وعنه ﷺ: "أَقربُ شيءٍ الأَجَلُ"[٤٧].

وعنه ﷺ: "نِعْمَ الدَّواءُ الأَجَلُ"[٤٨].

وعنه ﷺ: "مَنْ راقَبَ أَجَلَه، اغتَنمَ مهلَه"[٤٩].

وما دامَ الأَمرُ كذلك، فإِنَّ الإِمامَ الرِّضا ﷺ يقولُ:

لا تَغُرَّنْكَ أَباطيلُ المُنى وَالزَمِ القَصْدَ، وَدَعْ عَنْكَ العِلَلْ

لا تَجعَلِ الأماني الزَّائلة تغرُّك، وتصرفُك عن الحقيقة الدَّامغة، والمصير المحتوم؛ ولا تتعلّل بأنَّك ما زلتَ حيًّا، فسرعان ما ينقضي العمر، وتأتي المنيَّة فجأة، فليكن هدفك رضا الله تعالى، لتفوزَ بجنةٍ عرضُها السَّماواتُ والأرضُ أُعدَّت للمتَّقين.

---

٤٢ هويدى، التَّفسير المُعين للواعظينَ والمُتَّعظين٤٤٠.
٤٣ هويدى، ٤٤٠.
٤٤ هويدى، ٤٤٠.
٤٥ هويدى، ٤٤٠.
٤٦ هويدى، ٤٤٠.
٤٧ هويدى، ٤٤٠.
٤٨ هويدى، ٤٤٠.
٤٩ هويدى، ٤٤٠.

عَيبُنا فينا

- وقالَ الإمامُ الرِّضا ﷺ في الَّذينَ يَعيبونَ الزَّمانَ:

يَعيبُ النَّاسُ كُلُّهُمُ زَمانًا وَما لِزَمانِنا عَيْبٌ سِوانا
نَعيبُ زَمانَنا وَالعَيْبُ فينا وَلَوْ نَطَقَ الزَّمانُ بِنا هَجانا
وَإِنَّ الذِّئْبَ يَتْرُكُ لَحْمَ ذِئْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُنا بَعْضًا عِيانا[٥٠]

نُظِمَتْ هَذِهِ الأَبْياتُ على بَحْرِ الوافِرِ، وقد ذَكرتُهُ آنِفًا، ولا حاجَةَ إلى تَكرارِهِ.

يُريدُ الإمامُ الرِّضا ﷺ في هذِه الأَبياتِ أَن يقولَ: عجبًا للنَّاسِ، إنَّهم يعيبونَ الزَّمان! وما هو الزَّمان؟ الزَّمانُ هو الوقتُ، قليلُهُ وكثيرُه؛ هو العَصرُ؛ هو مُدَّةٌ تَتميَّزُ بحدوثِ ظَواهِرَ، أَو أَحداثٍ معيَّنة، لا ذَنبَ للزَّمانِ فيما يفعلُهُ النَّاسُ؛ لذا حريٌّ بالنَّاسِ أَنْ يَعيبوا أَهلَ الزَّمانِ، في فشلهمْ وتراجعهم، وانهزامهم؛ فهمُ الَّذينَ يتمتَّعونَ بالحركة، وحرِّيَّة التَّصرُّف، من دون قُيود. فنحنُ فإذا ما اجترحنا سيِّئةً، وارتكبنا ذنبًا، فحريٌّ بِنا أَن نوجِّهَ اللَّومَ والعِتابِ إلى أَنفسِنا، ولو قُدِّرَ للزَّمانِ أَنْ ينطقَ، لَعابَ أَفعالَنا القبيحة، وأَقوالَنا المشينة.

قال اللهُ تَعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١١]. وحين يقولُ الإمامُ ﷺ: "وَإِنَّ الذِّئْبَ يَتْرُكُ لَحْمَ ذِئْبٍ"، فإِنَّه يشيرُ إلى الحضيضِ الذَّي وصلَ إليه أهلُ الزَّمانِ الظَّالمونَ أَنفسَهم، من خلالِ الإِعراضِ عن أَحكامِ اللهِ تعالى، والغرقِ في وحولِ المحرَّماتِ، وبهذا يكونُون قد وصلوا إلى مستوى أقلّ بكثيرٍ من الذِّئاب، وعالَمِ الحيوانِ.

ويقولُ ﷺ: "وَيَأْكُلُ بَعْضُنا بَعْضًا عِيانًا"، إشارة إلى قولِ اللهِ عزَّ وجَلَّ في الغِيبَة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات ١٢].

٥٠ الأعلميَ، محمَّد حسين. مُقْتَبَسُ الأَثَرِ (قم: مطبعة الحكمة، ١٩٠٢م)، ١٠٤؛ المجلسي، بحار الأنوار ١١١.

ونحنُ نتحدَّثُ عنِ الإمامِ الرِّضا ﷺ وشِعرِه، لا بأسَ أَنْ نَذكرَ في هَذا البحث بعضًا ممَّا قيلَ في حقِّه ﷺ شِعرًا.

رُوِيَ أَنَّ المَأْمُونَ لَمَّا جعَلَ الإمامَ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضا ﷺ وَلِيَّ عَهْدِه، قَصَدَهُ الشُّعراءُ وَمَدَحُوا الرِّضا ﷺ، وصَوَّبُوا رَأْيَ المَأْمُونِ فيه، دُونَ الشَّاعِرِ "أَبي نُواس"، فإِنَّهُ لَمْ يَقْصُدْهُ، ولمْ يَمْدَحْهُ، فقالَ المَأْمُونُ ذاتَ يَومٍ لأَبي نُواس: يا أَبا نُواس، قد عَلِمْتَ مَكَانَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضا مِنِّي، وما أَكْرَمْتُهُ به، فلماذا أَخَّرْتَ مَدْحَهُ، وأَنْتَ شاعِرُ زَمانِكَ، وَقريعُ (رئيس، سَيِّد) دَهرِك؟ فأَنشَأَ يَقُول:

قِيلَ لِي: أَنْتَ أَوْحَدُ النَّاسِ طُرًّا ... في فُنُونٍ مِنَ الكَلامِ النَّبِيهِ
لَكَ مِنْ جَوْهَرِ الكَلامِ بَدِيعٌ ... يُثْمِرُ الدُّرَّ في يَدَيْ مُجْتَنِيهِ
فَعَلامَ تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ "مُوسَى" ... والخِصالِ الَّتِي تَجَمَّعْنَ فِيهِ
قُلْتُ: لا أَسْتَطِيعُ مَدْحَ إِمامٍ ... كانَ "جِبْرِيلُ" خادِمًا لأَبِيهِ[٥١]

فاسْتَحْسَنَ المَأْمُونُ أَبْياتَهُ، وفَضَّلَهُ على سائِرِ الشُّعراء.

وَرُوِيَ أَنَّ "أَبا نُواس" نَظَرَ إِلى أَبي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضا ﷺ ذاتَ يَوم، وقد خَرجَ مِنْ عِنْدِ المَأْمُون، فدَنا منهُ "أَبُو نُواس" فَسَلَّمَ عليه، وقال: يا ابْنَ رَسُولِ الله قد قُلْتُ فيكَ أَبياتًا، فأُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَها مِنِّي، فقالَ هاتِ، فأَنْشَأَ يَقُول:

مُطَهَّرُونَ نَقِيَّاتٌ ثِيابُهُمُ ... تَجْرِي الصَّلاةُ عليهِمْ أَيْنَما ذُكِرُوا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيًّا حِينَ تَنْسِبُهُ ... فما لَهُ في قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخَرُ
فاللهُ لَمَّا بَدا خَلْقًا فَأَبْدَعَهُ ... صَفاكُمُ واصْطَفاكُمْ أَيُّها البَشَرُ
فأَنْتُمُ المَلأُ الأَعْلَى وَعِنْدَكُمُ ... عِلْمُ الكِتابِ وما جاءَتْ بِهِ السُّوَرُ[٥٢]

٥١ الأمين، محسن. المجالس السَّنِيَّة (بيروت – لبنان: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٦م)، ٦١٩.
٥٢ الأمين، ٦٢٠.

وقُلْتُ في عيدِ وِلادَتِهِ ﷺ شِعرًا:

إِمـــامٌ بِـحُـكْـمِ الـكِـتـابِ قَـضَى ... وَكـــانَ صَـــدَى جَـــدِّهِ "الْـمُـرْتَـضَى"
غَـرِيـبُ الـدِّيـارِ، سَـلِـيـلُ الْهُـدَى ... عَـــلاَ ذِكْـــرُهُ في رِحـــابِ الـفَـضَـا
فَـيـا أُمَّـــةَ "الْـمُـصْـطَـفَـى" هَـلِّـلِي ... بِـعِـيـدِ "عـلِيِّ بْـنِ مُـوسَـى الـرِّضَـا"

كما تشرَّفتُ بنظمِ هَذِهِ القَصيدةِ الرَّضَوِيَّةِ الَّتي تَتَأَلَّفُ مِن عِشْرينَ بَيْتًا، في حَقِّ الإِمامِ عَلِيّ بْن مُوسَى الرِّضا ﷺ، حسبَ تَسلسُلِ حُروفِ اسْمِهِ الشَّريف:

أَللهُ أَكْبَرُ كَبِّرُوا هَذا "الرِّضا" ... عَلَمُ الهُدَى مِنْ نُورِهِ ضاءَ الفَضا
لاحَتْ لَنا الأَلْطافُ مِنْ جَنَباتِهِ ... عَكَسَتْ مَلامِحُهُ مُحَيَّا المُرْتَضى
الكَوْنُ شَرَّعَ بابَهُ لِقُدُومِهِ ... والبَرْقُ في يَوْمِ الوِلادَةِ أَوْمَضا
مِيلادُهُ لِلْعالَمِينَ مَسَرَّةٌ ... في ظِلِّهِ يَحْيَوْنَ عُمْرًا أَبْيَضا
أَنْشَدْتُهُ شَمْسَ الشُّمُوسِ كَجَدِّهِ ... لا أَبْتَغي مِنْ مَدْحِهِ إِلاَّ الرِّضا
مَلأَ المَشارِقَ والمَغارِبَ فَضْلُهُ ... مَلَكَ القُلُوبَ مَحَبَّةً، ما أَبْغَضا

عاشَ الحَياةَ مُجاهِدًا ومُشَيِّدًا ... دِينَ الهُدَى، ثُمَّ الضَّلالَةَ قَوَّضا
لَمْ يَرْضَ عَهْدًا بِالخَديعَةِ مُفْعَماً ... وَوِلايَةُ المَأْمُونِ عَنْها أَعْرَضا
يَكْفيهِ فَخْرًا أَنَّهُ مِنْ عِتْرَةٍ ... بِوَلائِهِمْ رَبُّ البَرِيَّةِ قَدْ قَضَى

بَلَغوا العُلا بِكَمالِهِم وعُلومِهِمْ ... سادوا الوَرى بِالجودِ، واللهُ ارْتضى
نَفْسي فِداءٌ لِلْغَريبِ بِمَشْهَدٍ ... أَسْعَى إِلَيْهِ وَلَوْ عَلَى جَمْرِ الغَضا

مَوْلايَ أَنْجَعُ بَلْسَمٍ لِمَواجِعي ... بِالله كَيْفَ أَخافُ مِنْ أَنْ أَمْرَضا؟
والَيْتُهُ أَسْعَى لِرُؤْيَةِ طَيْفِهِ ... والاشْتِياقُ يَحُثُّني أَنْ أَرْكُضا
سِبْطُ النَّبِيِّ سَما، وقُبَّتُهُ عَلَتْ ... وَيَظَلُّ يَعْلُو ذِكْرُهُ، لَنْ يُخْفَضا
أَهْوى زِيارَتَهُ وأَدْعُو خاشِعًا ... والعَيْنُ تَأْبَى عِنْدَهُ أَنْ تَغْمُضا

"الحُجَّةُ المَهْدِيُّ" طالَ غِيابُهُ ... آنَ الأَوانُ بِسَيْفِهِ أَنْ يَنْهَضا
لِمَ لَمْ يَثُرْ وَيَقِرَّ عَيْنًا "لِلرِّضا"؟ ... فالسِّجْنُ أَنْهَكَ جِسْمَهُ حَتَّى قَضى
رَبَّاهُ طَيِّبْ خاطِري بِخُرُوجِهِ ... إِنِّي لَأَخْشَى قَبْلَهُ أَنْ أُقْبَضا
ضَمَّخْتُ شِعْري بِالوَلاءِ لَعَلَّني ... أَحْظَى غَدًا بِشَفاعَةٍ لَنْ تُدْحَضا
أُهْدي الصَّلاةَ إِلَى النَّبِيِّ وآلِهِ ... ما قَبَّلَ الزُّوَّارُ أَعْتابَ "الرِّضا"

ومن المفيدِ أَنْ أذكرَ ما قالهُ البروفسور فكتور الكك في حَقِّ الإمامِ الرِّضا ﷺ.

ولا يَخفَى عليكم أَنَّ الدُّكتورَ فكتور الكِك، المولودَ في جبلِ لبنان في سنة ١٩٣٦ ميلاديَّة، هو أُستاذٌ جامعيٌّ ممتازٌ، لديه ثلاثُ شهاداتِ دكتوراه في آدابِ اللُّغةِ العربيَّةِ، وفي اللُّغةِ الفارسيَّة، وفي الفلسفةِ باللُّغة الفرنسيَّة.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أَنَّ لجَنةَ خُدَّامِ الثَّقافةِ الرَّضويَّة، في عام ٢٠١٥، انتَخبَت البروفسور الدُّكتور فكتور الكك خادمًا للثَّقافةِ الرَّضويَّة، في القِسمِ الدَّوليِّ. وهذه سابقةٌ مميَّزةٌ لمْ تَكنْ مألوفةً، وهيَ تَنمُّ عن تقديرِ القَيِّمينَ على المَركزِ الدَّوليِّ الثَّقافيِّ والفَنِّيِّ للإمامِ الرِّضا ﷺ للبروفسور فكتور ألكك، المتميِّز في تَخصُّصِه في شؤُونِ إيران وحضارتِها ولُغاتِها وآدابِها. ولَه فيها مؤلَّفاتٌ بالفارسيَّةِ والعربيَّةِ والفرنسيَّةِ والإنكليزيَّةِ، وقد دَرَّسَها ولا يزالَ في جامعاتِ العالَمِ.

وللانتخابِ هذا دَلالاتُ تَقديرٍ فوقَ العادةِ، لأنَّ الدُّكتور فكتور ألكك "مسيحيُّ المُعتقَد".

ومن أَبرزِ دلالاتِ هذا الانتخابِ كما يقولُ ألكِك هو انفتاحُ الشِّيعةِ المميَّز.

أَقولُ: لا غروَ أَنْ تَختارَ لجَنةُ خُدَّامِ الثَّقافةِ الرَّضويَّة، البروفسور الدُّكتور فكتور الكك عُضْوًا في القِسمِ الدَّوليِّ للثَّقافةِ الرَّضويَّة، فهو لائِقٌ بهذا المَنصب، وجديرٌ به، وهو الذَّكيُّ صاحبُ الفكرِ المتوهِّج، والعقلِ المبدِع.

نَشيدُ العَتَبةِ الرَّضويَّة (١)

نَظَمَ هذا النَّشيد (٢) البروفسور فكتور ألكِك (٣):

إيضاحُ بعضِ الإشاراتِ والأَعلام والكلمات

الواردةِ في نَصِّ النَّشيد

١ - الإمامُ الرِّضا (عليُّ بنُ موسَى الكاظم) ثامنُ أَئِمَّةِ السِّلسِلةِ الإثنَيْ عَشريَّةِ الَّتي تَبدأُ بالإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ وتَنتهي بالإمامِ المَهديِّ الغائِبِ المُنتَظَرِ. رافَقَ الخليفةَ المأمونَ بنَ الرَّشيدِ في رِحلةٍ إلى مَروَ في خُراسانَ القديمةِ (أَفغانستانَ، اليومَ)، واستُشهِدَ في سنابادَ بخُراسانَ الإيرانيَّةِ الحديثةِ، فسُمِّيَتْ تلكَ المَحلَّةُ باسمِ مَشهَدٍ.

٢ - النَّشيدُ يَختلِفُ عنِ المَقطوعةِ الشِّعريَّةِ بأَنَّه يُصاغُ للإنشادِ، لذلكَ يَنبغي أَنْ تكونَ معانيهِ

قريبةً مِن مفهومِ النَّاسِ، وأَنْ يكونَ أُسلوبُه سَهلَ التَّناوُلِ.

٣ – أ. د. فكتور ألكِك: أُستاذُ الأَدبِ الفارسيِّ وحضارةِ إِيرانَ في الجامعاتِ اللُّبنانيَّةِ العريقةِ، ورئيسُ المَجمعِ الثَّقافيِّ العربيِّ (أَكاديميَّة بينَ عربيَّةٍ).

٤ – الغريبُ: لَقبٌ أَغدقَه الإِيرانيُّونَ علَى الإِمامِ عليِّ بنِ موسَى الرِّضا، لأَنَّه ماتَ غريبًا عَن وطنِه الأَوَّلِ وأَهلِه.

٥ – الكَرامات: تُنسَبُ إِلى الإِمامِ الرِّضا كَراماتٌ لِشِفاءِ المَرضَى وما شابَه (١٥٣ – ٢٠٣ هـ/ ٧٧٠ – ٨١٨ م).

٦ – الرَّغام: التُّراب.

٧ – للإِمامِ الرِّضا أَحاديثُ رَواها بالتَّسلسُلِ عن النَّبيِّ محمَدٍ.

٨ – "سِبطٌ بدِينِ المسيحِ": إِشارةٌ إِلى انتِماءِ الشَّاعرِ إِلى الأُسرةِ الهاشميَّةِ مِن جِهةِ والدتِه.

٩ – إِشارةٌ إِلى الدُّكتوراه الأُولَى الَّتي حازَها مؤلِّفُ هذا النَّشيدِ مِن جامعةِ طَهرانَ في الأَدبِ الفارسيِّ والحضارةِ الإِيرانيَّةِ ما بينَ (١٩٦٠ – ١٩٦٣).

١٠ – أبو مُسلِمٍ الخُراسانيُّ: كان ركنَ الجيشِ العبَّاسيِّ الَّذي قَهرَ جيشَ الأُمويِّينَ، وبذلكَ قامتِ الخلافةُ العبَّاسيَّةُ.

١١ – سَيْفٌ فِرِنْدٌ: ما يُرَى في السَّيفِ من تموُّجاتِ الضَّوء.

١٢ – نادِر: هوَ نادر شاه الَّذي صَدَّ هجومَ القبائِلِ الأَفغانيَّةِ الَّتي عاثَتْ في إِيرانَ العهدَ الصَّفَويّ فسادًا. كان قائدًا في الجيشِ الصَّفَويِّ، ثُمَّ نَصَّبَ نَفسَه شاهًا علَى إِيرانَ.

١٣ – سناباد: اسمُ القرْيةِ الَّتي نزَلَ بها المأْمونُ، واستُشهِدَ فيها الإِمامُ الرِّضا، فسُمِّيَتْ مَشهدًا، تَخليدًا لِذِكراهُ وحُضورِه الدَّائِمِ فيها.

١٤ – بَهاءُ الدِّينِ العامليُّ: محمَّدُ بنُ الحسينِ (٥٥٣ هـ/ ٢٥٧٤ – ١٠٣٥ هـ/ ١٦٢٦ م)، يُعرَفُ في إِيرانَ بالشَّيخِ البَهائيِّ. أَصلُه من جُباع بجبلِ عاملَ لبنانَ. وُلدَ في بَعلبَكَّ وهاجرَ مِن لبنانَ إِلى إِيرانَ في عهدِ الدَّولةِ الصَّفَويَّةِ مع كوكبةٍ من العامليِّينَ الَّذينَ استَدعَتهمْ تلكَ الدَّولةُ لتَرسيخِ المَذهبِ الشِّيعيِّ الاثنَيْ عشَريِّ الَّذي تبنَّاهُ الصَّفويُّونَ. كان شاعرًا ومُهندسَ

مِعمارٍ وعالِمَ فلكٍ ورياضيًّا، فخلَّفَ في هذِه العلومِ كتبًا ظَلَّتْ لقرونٍ مَصدرًا في بابِها. قَرضَ الشِّعرَ بالفارسيَّةِ، وما تزالُ غزليَّاتُه تُذاعُ مِن وسائلِ الإعلامِ في إيرانَ. وقدْ شُرِّفَ بدَفنِه في الحَرمِ الرَّضَويِّ، تكريمًا لدَورِه العظيمِ خلالَ العَهدِ الصَّفويِّ.

١٥ – هارونُ: هو هارونُ العَبَّاسيُّ الحاكم الشَّهيرُ، والدُ الأَمينِ والمأْمونِ.

١٦ – أبو قاسِم: هوَ أبو قاسِم فِردوسي (٩٤٠ – ١٠٢٠ م)؛ شاعرُ المَلحمةِ الشَّهيرةِ "شاهنامه"، رَوَى فيها في نَحوِ ستِّينَ أَلفَ بيتٍ سِيرَ ملوكِ الفُرسِ العتاقِ وأَبطالَهُمْ ومَعاركَهمْ منذُ العُصورِ الأُسطوريَّةِ حتَّى مَجيءِ الإسلامِ.

١٧ – الجهابذة: مفردُها جهبَذ، معرَّبةٌ عن الفارسيَّةِ، تَعني مُصلِحًا ديوانيًّا، يُفيدُ صاحبَ خُزانةِ الكتبِ والواسعَ الاطِّلاعِ والنَّاقدَ.

الدِّرَفْس: رايةٌ أَو عَلَمٌ كان لملوكِ إيرانَ العتاقِ، من صنعِ كاوه، وهو حدَّادٌ، كان يَصنعُ آلاتِ الحَربِ، لذلكَ عُرفَ بِاسمِ دِرَفش كاوياني، نسبةً إليه. عُرِّبَ بكلمةِ دِرَفْس واستَعملَه البُحتُريُّ الشَّاعرُ في قصيدتِه السِّينيَّةِ الرَّائعةِ الَّتي وَصَفَ فيها إيوانَ كِسرَى المُهدَّمِ في المَدائِنِ، عاصمةِ الإمبراطوريَّةِ السَّاسانيَّةِ (٢٢٥ – ٦٤١ م). وقدْ ذَكرَه في هذا البيتِ حيثُ قالَ:

وَالمَنايا مَواثِلٌ، وَأَنُوشَرْوانُ يُزْجي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ.

والدِّرَفْسُ رَمزُ تحريرِ إيرانَ علَى يَدَيْ بَطلِهم الأُسطوريِّ أَفريدون، وكان مُزيَّنًا بالجواهرِ الكريمةِ.

١٨ – دَرِيّ: تَعني اللُّغةَ الفارسيَّةَ في المُصطلَحِ الأَصليِّ، وهي مُشتقَّةٌ مِن دَر أَو دَرْب أي الباب، لأَنَّها نَشأَتْ في بلاطِ المُلوكِ، وهيَ تُعرَفُ به حتَّى الآنَ في طاجيكستانَ.

بُخارَى: عاصمةُ الأُمراءِ السَّامانيِّينَ الإيرانيِّينَ الَّذينَ ضَمَّتْ إمارتُهم قِسمًا مِن آسيا الوُسطَى وخُراسان، وغَدتْ عاصمةَ اللُّغةِ الفارسيَّةِ ونَهضتَها.

رُودَكِي: أَهمُّ شاعرٍ بالفارسيَّةِ قبلَ الفِردوسيِّ. استَقرَّ في بلاطِ السَّامانيِّينَ، وشَرعَ بنَظمِ الشَّاهنامه منجزًا ما يَقرُبُ مِن أَلفِ بيتٍ مِن الشِّعرِ. (تُوُفِّيَ عام ٩٤٠ م).

١٩ – طبعَ هذِه القصيدةَ تلميذُه الشَّاعر الدُّكتور عبَّاس فتوني، تلبيةً لطلبِ ناظمِها الدُّكتور فكتور الكك. واللاَّفتُ أَنَّ الدُّكتور الكك توسَّلَ بالإمامِ الرِّضا ﷺ خلالَ العمليَّةِ الجراحيَّة الَّتي أَجراها

سابقًا، قائلاً: توسَّلتُ بالإمامِ الرِّضا لأَنَّ لديه كرامات.

وممَّا يُؤكِّدُ حبَّهُ للإمامِ الرِّضا ﷺ أَنَّه كتبَ في حقِّه غيرَ قصيدةٍ، فكتبَ قصيدةً أُخرَى في حقِّه تحتَ عنوان: "الإمامُ الرِّضا جامِعُ الفُرْسِ وَالعَرَبِ وَالمَلَأِ"، يقولُ فيها:

عَلَيْكَ سَلامُ الله يا ابْنَ مُحَمَّدٍ ... رَفَعْتَ لِواءَ الحَقِّ في أَرْضِ "مَشْهَدِ"
وَهَذِي "خُراسانُ" العَريقَةُ في العُلَا ... تُقَبِّلُ أَعْتابَ الضَّريحِ وَتَهْتَدي
مَقامُكَ في إِيرانَ لِلْفُرْسِ نِعْمَةٌ ... وَلِلْعُرْبِ شَوْقٌ لِلتَّآخي المُحَمَّدي

خاتمة

من خلالِ هذِه الأبياتِ الشِّعريَّةِ الَّتي نظمها الإمامُ الرِّضا ﷺ نرى أنَّ الشِّعرَ لمْ يكنْ هَدفًا بذاتِه، بل كان وسيلةً للوعظِ والإرشادِ، والدَّعوة إلى الله والخير والأَخلاقِ الفاضلة.

وما دامَ الشَّاعرُ يَسلكُ هذا السَّبيلَ، بما يُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ، ولا يكونُ شاعرًا متهتِّكًا، أَو شاعرَ بَلاطٍ، فهو ممدوحٌ ومحمود.

وصَدَقَ اللهُ سُبْحانَهُ، إِذْ يَقُولُ في فُرْقانِهِ الحَكِيم:

﴿الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء ٢٢٤-٢٢٧]*.

المُسْتَثْنَوْنَ مِنَ الشُّعَراءِ هُمْ الشُّعَراءُ المُؤْمِنونَ، فَإِنَّ الإيمانَ وصالِحاتِ الأَعمالِ، تَرْدَعُ الإنسانَ بِالطَّبْعِ عَنْ تَرْكِ الحَقِّ واتِّباعِ الباطِلِ، ثُمَّ الذِّكْرُ الكَثِيرُ لله سبحانَه يَجْعَلُ الإنسانَ على ذِكْرٍ مِنهُ تَعالَى، مُقْبِلاً إِلى الحَقِّ الَّذِي يَرْتَضِيهِ، مُدْبِرًا عَنِ الباطِلِ الَّذِي لا يُحِبُّ الاشْتِغالَ بِهِ، فَلا يَعْرِضُ لِهَؤُلاءِ ما كانَ يَعْرِضُ لأُولَئِك .

وَرَدَ عَنِ الإمامِ أَبي عَبْد الله جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ﷺ أَنَّهُ قال : "مِنْ أَشَدِّ ما فَرَضَ اللهُ على خَلْقِهِ،

---

* الغاوون : أَهل الجَهل والضَّلالة .
في كلِّ واد : المُراد فُنونُ القول وطُرُقُه .
يَهيمُون : يَذْهَبونَ غَيْرَ مُبالِينَ .
أيّ منقلَبٍ يَنقلِبُون : أيّ مَرجع يَرجعُون بَعدَ المَوت .

ذِكْرُ الله كَثِيرًا"؛ ثُمَّ قال : "لا أَعْنِي، سُبْحانَ الله، والحَمْدُ لله، ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، وَإِنْ كانَ مِنْهُ؛ وَلَكِنْ ذِكْرُ الله، عِنْدَما أَحَلَّ وَحَرَّمَ، فَإِنْ كانَ طاعَةً عَمِلَ بِها، وَإِنْ كانَ مَعْصِيَةً تَرَكَها" .

والشُّعَراءُ المُؤْمِنُونَ يَرُدُّونَ على المُشْرِكِينَ أَشْعارَهُمُ الَّتِي يَهْجُونَ بِها النَّبِيَّ ﷺ، وَيَطْعَنُونَ فيها في الدِّينِ، وَيَقْدَحُونَ في الإِسْلامِ والمُسْلِمِينَ .

أَمَّا المُشْرِكُونَ فَسَيَعْلَمُونَ إِلى أَيِّ مَرْجِعٍ وَمُنْصَرَفٍ يَرْجِعُونَ وَيَنْصَرِفُونَ، وهُوَ النَّارُ، مَعاذَ الله[٥٣] .

أَسْأَلُ اللهَ تَبارَكَ وتَعالَى، أَنْ يَجْعَلَنا مِنَ المُؤْمِنِينَ، العامِلِينَ، الذَّاكِرِينَ، الَّذِينَ اسْتَثْناهُمْ مِنْ دائِرَةِ الغِوايَةِ والضَّلالَة، وأَنْ يُوَفِّقَنا لِنُصْرَةِ الحَقِّ وأَهْلِه.

السَّلامُ عليكَ يا سيِّدي، ويا مولايَ، يا غريبَ الدِّيار، ويا قاضيَ الحوائج، يا أَنيسَ النُّفوس، أَيُّها المدفونُ بأرضِ طوس، السَّلامُ عليكَ يومَ وُلِدتَ، ويومَ استُشهدتَ، ويومَ تُبعَثُ حيًّا، رزقنا اللهُ في الدُّنيا زيارتَكم، وفي الآخرة شفاعتكم.

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالَمِينَ.

٥٣ الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن، ط٢ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٢م). المجلد الخامس عشر

المصادر :

القرآن الكريم

ابن كثير. البِداية والنِّهاية. ط١. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤١٨هـ.

الأعلميَ، محمَّد حسين. مُقْتَبَسُ الأَثَرِ. قم: مطبعة الحكمة، ١٩٠٢م.

الأمين، محسن. المجالس السَّنيَّة. بيروت – لبنان: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٦م.

الجويني، إبراهيم بن محمَّد حموي. فرائِدُ السِّمْطَيْنِ في فضائل المرتضى والبتول والسِّبطين. ط١. مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ.

الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط٢. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٢م.

القُمِّي، عبَّاس. مفاتيح الجنان ويَليه الباقياتُ الصَّالحات. ط١. بيروت – لبنان: مؤسسة الاعلمي، ٢٠٠٤م.

الكرم، عبد العزيز. ديوان الإمامِ عليٍّ ﷺ. د.ط. بيروت: المكتبة الثقافية، د.ت.

المجلسي، الشيخ العلامة محمد باقر. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. ط٢. لبنان: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م.

المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. ط٣. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م.

الموفّق الخوارزميّ. المَناقِب. ط٢. قم: مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ، ١٤١١هـ.

دخيِّل، علي محمَّد علي. أَئِمَّتُنا، سيرة الأَئِمَّة الاثني عشر ﷺ. ط١. لبنان: دار المرتضى، ٢٠٠٥م.

فتوني، عبَّاس. معهد سيِّد الشُّهداء ﷺ لِلمِنبرِ الحُسينيّ، مَدخَلٌ إلى عِلمِ العَروض. ط١. بيروت: جمعيَّة المعارِف الإسلاميَّة الثَّقافيَّة، د.ت.

هويدى، محمَّد. التَّفسير المُعين للواعظينَ والمُتَّعظين. ط٥. بيروت – لبنان: المؤسَّسة العالَميَّة لعلوم القرآن، ١٩٩٥م.